

5 - التكاذيب بوصفها جنساً أدبياً:

يرى بعض الدارسين الأوروبيين أن فن (الرواية) يعود إلى أصل عربي، وذلك في رأيهم لأن العرب جنس بشري موهوب في صناعة الكذب⁽⁵¹⁾.

وهذا قول لا يأتي مأتى الذم والإهانة ولكنه ورد في مبحث جاد عن شروط قيام الفن الروائي وعلاقة ذلك باللاحقية، - أو حسب لغة المبرد - بالأكاذيب. ولعل حديثنا قد أصبح الآن واضحاً في أن التكاذيب فن أدبي ومهارة انداعية.

ولقد جعل (لاكان) الكذب - حداً من أهم الفروق ما بين لغة الحيوان ولغة البشر، حيث الأخيرة تتصف بمقدرتها الخاصة بالكذب⁽⁵²⁾.

وإن كان الكذب أساساً فنياً للرواية، وأساساً اصطلاحياً في التفريق بين الحيوان المحدود الموهبة في قدرته والإنسان الموهوب في إبداعه اللغوي، فإن ذلك يجعل الكذب نشاطاً أدبياً يجب استقصاؤه والنظر فيه.

على أن الموهبة هذه لا تخص العرب - وحدهم - بل إن الإغريق كان لهم تاريخ مسجل مع فن الكذب بوصفه بلاغة وإبداعاً، وأسطورة هيرمس التي تنسب إليه البلاغة والتجارة والاتصال، والبلاغة هي له لأنه تمكن من مهارة الكذب وهو في المهد وعمره يوم واحد، إذ سرق قطيع غنم من أبوللو بعد ولادته مباشرة، وفي الغد أنكر هذه السرقة قائلاً كيف أفعل ذلك وأنا لم أولد غير يوم أمس. ثم راح هيرمس المولود تَوّاً يستخدم مهارته في